

المقبولية وأثرها في أداء المعنى من كلام الإمام علي عليه السلام مثالا

Acceptability and its impact on the performance of meaning; from the words of Imam Ali, peace be upon him, an example

محمد ياسين الشكري

كلية التربية للبنات / جامعة الكوفة (العراق)

mohammady.alshkrey@uokufa.edu.iq

تاريخ الاستلام: 2019/12/02 تاريخ القبول: 2019/12/10 تاريخ النشر: 2020/01/05



ABSTRACT:

مُلَخِّصُ الْبَحْثِ

The speakers updated the study of texts in two ways, the first: the pavement correlation, and its topic towards the sentence, and the second: the conceptual interconnection and its subject towards the text, and towards the text recovers what he does not realize towards the sentence from the diagnosis of the meaning and his understanding of the existence of textual criteria defined by Bogrand, and the research addressed the element of acceptability, and the area of its application from Inform the speech - the words of Imam Ali, peace be upon him - and the linguistic validity of the text is an important factor in accepting the text, because the recipient rules the text from the integrity of the language and the composition and observance of the recipient's horizon, and that the recipient's cooperation with the speaker is a condition for communication, and by which the text is accepted.

Key words: acceptability - impact - performance - meaning - the Quran.

تناول المحدثون دراسة النصوص من وجهتين الأولى: الترابط الرصفي، وموضوعه نحو الجملة، والثانية: الترابط المفهومي وموضوعه نحو النص، ونحو النص يستدرك ما لا يدركه نحو الجملة من تشخيص المعنى وفهمه بوجود المعايير النصية التي حددها بوجراند، والبحث تناول عنصر المقبولية، ومساحة تطبيقه من أبلغ الكلم- كلام الإمام علي عليه السلام- والصحة اللغوية للنص عامل مهم في قبول النص، لأن المتلقي يحكم على النص من سلامة اللغة والتركيب ومراعاة افق المتلقي، وأن تعاون المتلقي مع المتكلم يُعد شرطاً للتواصل، وبه يُقبل النص. الكلمات المفتاحية: المقبولية- أثر- أداء- المعنى-القرآن.

المقدمة

اهتم المحدثون بدراسة علم اللغة النصي، إذ تناول علماء اللسانيات دراسة النصوص من وجهتين الأولى الترابط الوصفي، وموضوعه والنظام النحوي الافتراضي (نحو الجملة)، وأما الثاني فهو الترابط المفهومي، وموضوعه النحو الدلالي (نحو النص)، ونحو النص يستدرك ما لا يدركه نحو الجملة من القدرة على تشخيص المعنى وفهمه في الخطاب (Discourse)، وذلك بتوافر المعايير النصية التي حددها بوجراند حين عرف النص بأنه: ((حدث تواصل يُلزم لكون نصا تتوافر له سبعة معايير للنصية (Standards of Seven) (Textuality) مجتمعة، ويزول عنه هذا الوصف إذا تخلف واحد من هذه المعايير، وهي: السبك، والحبك، والقصدية، والمقبولية (التلقي)، والإعلامية، والموقفية، والتناس.

انطلاقاً مما سبق وتأسيساً على ما تقدم اثرت ان يكون عنوان البحث (المقبولية - التلقي - وأثره في أداء المعنى) وجاء البحث على قسمين : النظري ، ويتضمن ثلاثة مباحث، والتطبيقي وفيه كلام الامام علي عليه السلام ، ويتقدم البحث مقدمة وتمهيد ويقفوه خاتمة عرضت فيها اهم النتائج المستخلصة من البحث، فالتمهيد تناول المقبولية (في اللغة والاصطلاح).

واما المبحث الأول في النظري فقد خصص لمفهوم المقبولية عند العرب القدامى اشرت به الى مميزات المقبولية من ناحية التنقيح والتهذيب ومن ناحية العناية بالابتداء والاحتراز من التطير وكيفية الوقوف على الاطلال والنسيب واما المبحث الثاني فقد خصص لمبادئ التقبلية في البنى التركيبية واشرت به الى مفهوم التقبلية من ناحية الابتعاد عن ضعف التأليف والابتعاد عن التنافر والتكليف اما المبحث الثالث فقد خص لأنواع القراءة ومستوياتها، اما بالنسبة للتطبيقي فقد طبقت المقبولية على خطب الامام علي (ع) في نهج البلاغة، وعلى نماذج مختارة من أيام العربي لأبي عبيدة.

وبحمد الله وفضله فقد واجهتني بعض الصعوبة في البحث، من ناحيته تطبيق المقبولية في بعض النصوص.

مفهوم المقبولية

يقصد بالمقبولية موقف متلقي النص تجاه صورة من صور اللغة، إذ يجب ان يتمتع كل نص بمقبولية من حيث الاتساق والانسجام¹. ويتحصل بذلك النفع للمتلقي باكتسابه معرفه جديده ومن ثم يستجيب لعوامل مثل: نوع النص، والمقام الثقافي والاجتماعي، ومرغوبية الاهداف².

وتمثل المقبولية صور من صور اللغة وتتميز بتماسك وتلاحم اجزائها وهذه صفة يضيفها حول النص في مقابل مطابقة القاعدة وتعني إنه لا يقبل التردد في الأوجه الاعرابية المختلفة المحتملة في الموضوع الواحد، ولكن يعمل على تغيير كل صفاته كالتناس و رعاية الموقف والإعلامية وغيرها لاتخاذ قرار يؤدي الى تحديد المعنى³.

ويعد معيار المقبولية على أهميته المتمثلة في أن قبول النص غاية يسعى الى تحقيقها كل اديب او شاعر او متحدث لم يلق اهتماما كافيا من الباحثين والمهتمين بتحليل الخطاب، يوازي اهتمامهم بمعيار التماسك او معيار الانسجام او معيار التناس مثلاً، وأسعى في بحثي هذا الى التعريف بمعيار المقبولية وبيان مفهومها عند النقاد القدامى، وكيف يتبلور هذا المفهوم على يد اللسانيين المعاصرين وأصبح معياراً اجرائياً نقدياً واضحاً يستفيد منه الناقد والقراء والاديب على حدٍ سواء . نستدل من ذلك، إن التقبل والقبول يتضمن معنى الرضا بالشيء والمحبة له، وميل النفس اليه .

وبعد إن بينت مفهوم المقبولية بشكل عام أتطرق الى مفهومها لغة واصطلاحاً.

المقبولية في اللغة:

قال ابن منظور في لسان العرب على فلان قبول، إذا قبلته النفس، وهو – أي القبول – بفتح القاف: المحبة والرضا بالشيء وميل النفس اليه، والقبول: الحسن والشارة⁴.

وقوله تعالى (فتقبلها ربها بقبول حسن)⁵ أي بتقبل حسن يقال قبلت الشيء قبولاً. أي إذا رضيته⁶، وفي المعجم الوسيط: القبول الرضا بالشيء وميل النفس إليه، فيتضح عما سبق إن دلالة القبول في اللغة تدول حول الرضا والاستحسان وميل النفس للشيء وتقبلها له.

المقبولية في الاصطلاح :

"فهي تسمية تطلق على الاستعمال اللغوي المقبول من حيث النحو والصرف في إنه يتطابق مع ما جاء به في القواعد المرعية والمقبولة، وهي تتقابل التعقيدية"⁷ وبحسب سعيد علوش "لا يمكن لحسم في مقبولية جمل ما، بنعم او لا، لكونها حدسية في اللغة كما تمتلك استقلالاً ذليلاً بحيث تظل الجمل غير المقبولة دالةً، في تواصلها"⁸ لذلك ترتبط المقبولية بأحوال المتلقين وثقافتهم وايدولوجياتهم، فما يكون مقبولا عند البعض، قد لا يكون كذلك عند غيرهم.

مفهوم المقبولية عند العرب القدامى

ينبغي التذكير بأن النقاد والبلاغيون العرب القدامى قد أولوا هذا المعنى عناية كبيرة في وقت مبكر من نشاطهم النقدي، ويأتي هذا الاهتمام، من اهتمام الشعراء والخطباء أنفسهم منذ العصر الجاهلي، بأن يقع كلامهم موقع القبول من السامع. وتمتاز المقبولية بما يأتي :

1- التنقيع والتهذيب:

لقد اطلقت على زهير بن ابي سلمى، والحطيئة، واشباههما، صفة "عبيد الشعر" وقد اطلقت عليهم هذه الصفة لأنهم يجهدون انفسهم في جودة اشعارهم، لتحظى بأعلى درجات من القبول لدى السامع، فقد ((قال الاصمعي: زهير بن ابي سلمى، والحطيئة، واشباههما عبيد الشعر، وكذلك كل من جود في جميع شعره، ووقف عند كل بيت قاله، وأعاد فيه النظر، حتى يخرج ابيات القصيدة كلها مستوية في الجودة))⁹.

ولقد بين ابن رشيق القيرواني السبب الذي حمل زهير بن ابي سلمى على العناية بشعره، قبل إظهاره وهو الخوف من العيوب التي قد يتعقبها المتلقي، فيقول: ((صنع زهير الحويلات على وجه التنقيح والتثقيف، يصنع القصيدة، ثم يكرر نظره فيها، خوفاً من التعقيب))¹⁰

اما بالنسبة لمفهوم المقبولية في الشعر فنجد إن الشاعر يتعقب العيوب ويقوم بتداركها وتلافيها، حتى وإن ظهر النص الشعري وانتشر بين المتلقين، إرضاء لهم، ولعل في قصة النابغة ما يوحي بذلك، فقد عاب اهل المدينة، اقواء النابغة في قوله: (الكامل)

عجلانَ ذا زادٍ وغير مزودٍ

أمن آل أمية رائحٌ أو مغتدي

وبذلك خبرنا الغدافُ الأسود¹¹

زعم البوارحُ أنّ رحلتنا غداً

لقد تمثل مفهوم المقبولية عند البلاغيين عبر المشاركة الإبداعية، إذ أدرك البلاغيون القدامى دور المتلقي في العملية الإبداعية، فالمتلقي قسم المبدع في عمله يشارك به مشاركة فاعله تمنحه والتجدد، وفي ذلك يقول الجاحظ (مدار الامر على البيان والتبيين.... والفهم لك والمتفهم عنك شريكان في الفضل)¹²

ولقد قال في هذا الشأن أبو منصور الأزهري (ت 370هـ): (قال الزجاج، في قول الله تعالى: ((فتقبلها ربها بقبول حسن))¹³. أي بتقبل حسن، ولكن قبول محمول على قوله: قبلها قبولاً حسناً، يقال: قبلت الشيء قبولاً: إذا رضيته)¹⁴. ويقول ابن منظور: (على فلان قبول، إذا قبلته بالنعس، وفي الحديث: ثم يوضع له القبول في الأرض، وهو بفتح القاف، المحبة والرضا بالشيء وميل النفس إليه)¹⁵، ولم يتعد التقبل عن معناه عند أهل اللغة، ولكنهم اضافوا إليه معنى الالتزام عند وقوعه، يقول المناوي (ت 1032هـ): (والتقبل في عرف الفقهاء، الالتزام بعقد، يقال: تقبلت العمل من صاحبه، إذا التزمته بعقد)¹⁶، ويتضح من هذا المفهوم إن التقبل والقبول بمعناه العام هو الرضا بالشيء وإن يكون هناك منهم بين السامع والمتكلم.

ويذهب ابن طباطبا إلى أن الشعراء في عصره بحاجة إلى أن يتوثقوا من جودة اشعارهم وسلامتها من العيوب قبل إظهارها للمتلقين، وما ذلك إلا لأن الشعراء قبلهم قد سبقوهم إلى كل معنى بديع، ولفظ فصيح ف ((إن أتوا بما يقصر عن معاني أولئك، ولا يرى عليها، لم يتلق بالقبول، وكان كالمطرح المملول))¹⁷.

ونستنتج من ذلك أن أمر التنقيح والتهديب لم يقتصر على الشعر، بل شمل الخطابة أيضاً بل هو ديدن أخطب الناس، فقد ((قال البعيث¹⁸ الشاعر، وكان أخطب الناس: إلي والله ما أرسل الكلام قضيئاً خشبياً، وما أريد أن أخطب يوم الحفل، إلا بالبائت المحكك.¹⁹ وكان البعيث كان يخشى أن يحصر أو يرتج عليه امام المتلقين، وذكروا أن أول من حصل معه هذا الامر هو عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وذلك عندما صعد المنبر ((فارتج عليه، فقال: إن أبا بكر وعمر كانا يعدن لهذا المقام مقالاً، وانتم إلى إمام عادل أحوج منكم إلى إمام خطيب))²⁰.

2- العناية بالابتداء والاحتراز من التطير

وما من المظاهر التي تكلم عليها النقاد القدامى، ويتعلق الكلام عنهما بقضية تقبل الخطاب سواء أكان شعراً أم نثراً.

ففي مجال الخطاب النثري، أشار القدماء إلى أهمية العناية بالابتداء، فقالوا: ((إن خطباء السلف الطيب، وأهل البيان من التابعين بإحسان، وما زالوا يسمون الخطبة التي لم تبتدأ بالتحميد، وتستفتح بالتميد البتراء))²¹ وما ذلك إلا لقول رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فكل كلام لم يبدأ فيه بالحمد لله فهو أبتر²²، ولهذا ((جعل أكثر الابتداءات بالحمد لله، لأن النفوس تتشوف إلى الثناء على الله، فهو داعية إلى الاستماع²³، ولم يقتصر الابتداء الحسن على الخطابة، بل شمل الكتابة، فقد ((قال بعض الكتاب: أحسنوا معاشر الكتاب الابتداءات، فإنهن دلائل البيان))²⁴.

وقد ذكر ابن طباطبا العلوي ما يشير إلى الاحتراز عن التطير في مفتتح الشعر، فيقول: ((ينبغي للشاعر أن يحترز في اشعاره، ومفتتح أقواله مما يتطير به أو يستحفى من الكلام والمخاطبات))²⁵.

وفي السياق نفسه يقول ابن سنان: ((الابتداء في القصائد، فإنه يحتاج إلى تحرز فيه، حتى لا يستفتح بلفظ محتمل، أو كلام يتطير منه))²⁶.

وقد سبقت امثله كثيرة من الشعر تبعث على الطيرة والتشاؤم ونفور النفس، ومنها مطلع ابي نؤاس في قصيدته التي يهئ بها الفضل بن يحيى البرمكي بدار بناها: (الطويل)

أربع البلى إن النشوع ابادٍ عليك وإني لم أخنك ودادي

نستدل من ذلك ان المتلقي عند سماعه لهذا النوع من الابتداءات قد يؤدي به الى حدّ الإعراض وعدم القبول، بل قد يؤدي الى التنكيل بالشاعر.²⁷

3- الوقوف على الاطلاع والنسيب:

أشار النقاد القدامى الى أن الوقوف على الطلل إنما هو ((عملية فنية ترتبط بالمتلقي اعتماداً على سحر التوصيل ونشوة التوقيع، لا لينقل المتلقي الى معايشة تجربة الشاعر وإنما ليجب عليه حق الاستماع لما يلي من أجزاء القصيدة وبياتها))²⁸

ولتوضيح السبب الكامن وراء الوقوف على الاطلاع يقول ابن قتيبة ((أن مقصد القصيدة إنما أبتدأ بذكر الديار والاثار، وخاطب الربع واستوقف الرفيق ثم وصل بعد ذلك الى ذكر السبب، فشكا شدة الوجد، وألم الفراق، وفرط الصباة والشوق، ليميل نحوه القلوب ويصرف إليه الوجوه، وليستدعي به إصغاء الاسماع إليه))²⁹

ومثلما بين ابن رشيق قيمة الافتتاح الحسن، بين أيضاً قيمة الخاتمة وأثرها في تقبل الخطاب، وفي ذلك يقول: ((وخاتمة الكلام ابقى في السمع، والصق بالنفس، لقرب العهد بها، فإن حسنت حسن، وإن قبحت قبح، والاعمال بخواتيمها، واخر ما يبقى منها في الاسماع وسيلة ان يكون محكما، لا تمكن الزيادة عليه، ولا يأتي بعده احسن منه))³⁰

مبادئ التقبلية في البنى التركيبية

حدد البلاغيون والنقاد العرب القدامى شروط الفصاحة في اللفظ المفرد، وخلاصة هذه الشروط هو الابتعاد عن (تنافر الحروف، والقرباة، ومخالفة القياس، والكراهة في السمع)³¹. أي ان جمالية اللفظ المفرد تكمن في خفة حركته في النطق، ووضوح معناه، وجريانه على وفق القياس الصرفي فضلاً عن حسن وقوعه في السمع³²، وكل ذلك يكسبه صلاحية الحلول في الخطاب، ولا سيما الخطاب الادبي، إذ تشكل عملية العناية بفصاحة الالفاظ المفردة، تمهيدا لعملية العناية بفصاحة الأجزاء والتراكيب التي يكون منها الخطاب³³، ليأخذ حينئذٍ في طريقه نحو الرضا. على أن للتقبلية - المقبولية - مبادئ في البنى التركيبية هي :

1- الابتعاد عن ضعف التأليف

ويقصد به الابتعاد عن مخالفة احكام النحو التي تؤدي الى ابهام المعنى وتعقيده، ويذكر أن سيبويه عقد بابا في استقامة الكلام وشروطه لإفادة المعاني، فقد تحدث عن تأليف الكلام ومكوناته التي يحسن السكوت عليها، فالكلام عنده ((مستقيم حسن، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب، فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك امس، وسأتيك غداً، وأما المحال، فأن تنقض اول كلامك بآخره، فتقول: أتيتك غداً، وسأتيك امس وأما المستقيم الكذب، فقولك: حملتُ الجبل

وشربتُ ماء البحر، ونحوه، وأمّا المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضع، نحو قولك: قد زيدا رأيت، وكى زيداً يأتيك، وأشبه هذا، وأمّا المحال الكذب، فأن تقول: سوف أشربُ ماء البحر أُمس³⁴.

وقد أوضح أبو هلال العسكري أهمية جودة التركيب وحسنه ثم اشر ذلك في قبول الخطاب او الكلام³⁵، في قوله ((إذا كان المعنى سامياً ورصف الكلام ردياً لم يوجد له قبول، وإذا كان المعنى وسطاً ورصف الكلام جيداً، كان الحسن موقعاً، واطيب مستمعاً، فهو بمنزلة العقد اذا جعل كل خرزة منه إلى ما يليق بها كان رائعاً في المرأى وإن لم يكن مترفعاً جليلاً، وان أختل نظمه، فصمت الحبة منه الى ما لا يليق بها اقتحمته العين، وإن كان فائقاً ثميناً³⁶)).

2- الابتعاد عن التنافر

يرى ابن سنان الخفاجي أن من صفات الكلام الفصيح هو ((ان يتجنب الناظم تكرار الحروف المتقاربة في تأليف الكلام، كما امرنا بتجنب ذلك في اللفظة الواحدة، بل هذا في التأليف اقبح³⁷)).

ويرى عبد القاهر الجرجاني ((إنه لا يخفى على عاقل، أنه لا يكون بسهولة الألفاظ وسلامتها مما يثقل على اللسان اعتداد، حتى يكون قد الف منها كلام، ثم كان ذلك الكلام صحيحاً في نظمه، والغرض الذي اريد به، وأنه لو عمد عامد الى الفاظ، فجمعها من غير ان يراعي فيها معنى، ويؤلف منها كلاماً، لم تر عاقلاً يعتد السهولة فيها فضيلة، لان الألفاظ لا تراد لأنفسها، وإنما تراد لتجعل ادلة على المعاني، فإذا عدت الذي له تراد، اختل امرها فيه، لم يعتد بالأوصاف التي تكون في انفسها عليها، وكانت السهولة وغير السهولة فيها واحد³⁸)).

ويبدو من الكلام المذكور سابقاً، إن عبد القادر، لا يعتد باللفظ المتنافر الحروف ابتداءً، ثم إنه لا يعتد بسهولة اللفظ المفرد كذلك، وإنما يعتد كل الاعتداد بالسهولة في الكلام المؤلف الذي تساب الفاظه على اللسان من غير تعثر في النطق³⁹.

3- الابتعاد عن التكليف:

ذمّ النقاد والبلاغيون التعقيد في الخطاب، لأنه يحول دون وصول الغرض والمعنى المقصود الى المخاطب، فالتعقيد ينقص من قيمة الخطاب سواء أكان شعراً ام نثراً، ويحط من شأنه، ونستوحي هذا الموقف مما ورد بشأنه في المصنفات القديمة، فقد ذمه بشر بن المتمر، وحذر منه، ففي صحيفته المشهورة، يقولك ((ياك والتوعر، فإن التوعر يسلمك الى التعقيد، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك، ويشين الفاظك⁴⁰)).

وجاء السكاكي ليعرف التعقيد، فقال: ((والمراد بالتعقيد، هو ان يعثر صاحبه فكرك في متصرفه، ويشك طريقك الى المعنى، ويوعر مذهبك نحوه، حتى تقسم فكرك في متصرفه، ويشعب ظنك إلى ان لا تدري من أين تتوصل، وبأي طريق معناه يتحصل⁴¹)).

ونلخص مما تقدم، الى أن الخطاب الذي يتصف بالتعقيد اللفظي والتواء العبارات وسوء التركيب واستعمال الوحشي من الكلمات، يقود الى استيهام المعنى، وصعوبة فهمه من المتلقي، فيكون عرضه الى الرفض والاسقاط، وقد سبقت امثلة كثيرة لهذا النمط من الخطاب، شعراً ونثراً، وكان الجاحظ يعقب عليها يقول مفاده، أنها لو عرضت على الاصمعي لجهلها⁴².

أنواع القراءة ومستوياتها:

ميز تودروف (Todrov) بين ثلاثة أنواع من القراءة، وهي القراءة الإسقاطية، وهي قراءة تقليدية لا تهتم بالنص بقدر اهتمامها بالمؤلف أو المجتمع، والقراءة الشارحة التي تقف على ظاهر النص بشرح الكلمات عبر استبدالها بكلمات مرادفة للمعاني التي تدلّ عليها في النص، والقراءة الشعرية، وهي قراءة عميقة للنص في ضوء سياقه الفني، وتنظر هذه القراءة الى النص على انه كائن حي يتفاعل مع النصوص ينمو ويتطور⁴³

اما فيما يتعلق بمستويات القراءة فهي أربعة مستويات، بيد ان تسمية المستويات توجي الى التدرج من المستوى الأدنى الى المستوى الأعلى وهكذا حتى تتوصل الى المستوى الأعلى والأخير المشتمل على ما في المستويات التي دونه من جملة مميزات بشكل تراكمي. وهذه المستويات كالآتي:

المستوى الأول: القراءة الابتدائية، والقارئ في هذا المستوى يجب ان يكون قد الم بقواعد لقراءة والكتابة، وتلقى التدريب الأساسي في القراءة، واكتسب المهارات الأولية فيها.

المستوى الثاني: القراءة التصفحية وهذه القراءة ترتبط بالزمن اللازم للقارئ حتى ينجز كمية معينة من النصوص، مع استخراج المعاني التي تنطوي عليها النصوص.

المستوى الثالث: القراءة التحليلية وهذه القراءة أكثر تطورا من المستويين السابقين، فهي تتعلق بنوعية النص الذي ينوي القارئ قراءته.

المستوى الرابع: القراءة الموجهة أو المرجعية، وتمثل ذروة عملية القراءة، وهذه القراءة هي الأكثر فاعلية وتعقيدا، اذ يترتب عليها عبء كبير على القارئ، وذلك ما يعرف بالقراءة المرجعية، فالقارئ مطلوب منه ان يطالع عدة كتب في الموضوع الذي يقع في دائرة اهتمامه، وبعد ذلك يكون القارئ قادراً على التحليل والمقارنة⁴⁴.

بعد ان بينت مفهوم المقبولية في النظري لغةً واصطلاحاً أي انها بالمعنى العام هي موقف متلقي النص، حول توقع نص متماسك ومتناسق⁴⁵ ويعرفها الفقي بأنها تتعلق بموقف المتلقي من قبول النص⁴⁶. وهو معيار مشترك بين منتج النص، ومتلقيه، وهو يختص بالمتلقي أكثر من المنتج، كونه هو المبادئ عن رأيه بالرفض أو القبول للنص، وهو المتوقف عليه هذا الموقف، أو التحديد للموقف. كما ان المقبولية تعتمد على التفاعل المثالي القائم بين مقاصد المتكلمين ورغبة المتلقين، للمشاركة في الخطاب، وصياغة مفاهيم مشتركة من المعرفة⁴⁷. فعملية التواصل تقتضي مرسل يرسل خطابه بواسطة اللغة الى المستقبل، والنص هو الوسط بين الاثنين، لذلك ينبغي ان يتوصل الاثنان (المرسل والمتلقي) الى وعي، بأهميته العامل المشترك بينهما وهو النص، فهذا الاتفاق الفني يربى مجالاً لقبول النص، ونحوه في ذهن المتلقي.

ويعرف (دي بوجراند) القبول وهو يتضمن موقف مستقبل النص، إزاء كونه صورة ما، من صدر اللغة، ينبغي لها ان تكون مقبولة من حيث هي نص ذو سبك والتحام، للقبول مدى من التغاضي Tolerance، في حالات تؤدي فيها المواقف الى (ارتباك)، أو حيث لا توجد شركة في الغايات بين المستقبل والمنتج، والتي بعدها⁴⁸. ويعني بذلك ان منتج النص قد يتغاضى أو يتساهل أو يتسامح في مسألة تحقيق الاتساق

في النص، مما يؤدي الى غموض النص، وصعوبة فهمه وقبوله، عند المتلقي، نتيجة لعدم اتساق (سبك وحبك) النص. فإن كان الخلل بسيطاً ويمكن تعويضه من قبل المتلقي، وصولاً لتحقيق الغاية الاتصالية، بين المنتج والمتلقي، وإلا استنهار عملية التواصل بين الطرفين ومن العوامل المؤثرة في المتلقي من قبول النص أو رفضه⁴⁹:

- معرفة المتلقي بنوع النص، ومعرفة من هو المنتج.
 - معرفة المتلقي لقصد المنتج، أو دلالة النص العامة.
 - تعتمد نسبة قبول النص، على مدى أهمية النص بالنسبة لمتلقيه.
 - تعتمد نسبة قبول النص، على الخلفيات الفكرية، والأيدولوجية، التي يتمتع بها مستقبل النص.
- وتعتمد نسبة قبول النص، على الخصائص النفسية، التي يتمتع بها المتلقي، وذلك لان الحالة النفسية تؤثر في الحالة الذهنية. وبذلك فإن القبول مرتبط بمجموع الدلالات، التي يطرحها النص، بشرط تماسكها، والتحامها وتحديده، بعيداً عن الاحتمالية الدلالية، أو حتى جواز أكثر من وجه اعرابي، ذلك ما يقرها نحو الجملة، ومن هنا تكون المقبولية في نحو النص، في مقابل مطابقة القاعدة، في نحو الجملة التي تسمح بالاحتمال الدلالي وتعدد الأوجه الاعرابية⁵⁰. فالتحليل على مستوى الجملة، يقبل هذه الاحتمالات، ولا يختار واحداً منها، إلا إذا حدد السياق احدها أما نحو النص فلا يقبلها⁵¹ فيجب مراعاة لظروف المحيطة بالنص، من السياق، أو الموقف اللغوي... وغيره، لتحقيق المقبولية المرتبطة بمنهج النص ومتلقيه.

ومن خطب الامام (عليه السلام) لأبنه محمد بن الحنفية لما أعطاه الراية يوم الجمل "تَزُولُ الجبال ولا تَزُلُّ، عَضٌّ على ناجدك، أعر الله جمجمتك تَدُ في الأرض قدمك، ارم ببصرك اقصى القوم، وغضَّ بصرك واعلم إن النصر من عند الله سبحانه⁵².

ومن هذه الخطبة الشريفة يتبن لنا مفهوم المقبولية في معرفة المتلقي بنوع النص، ومعرفة من هو المنتج. فالمنتج هنا هو الامام علي (ع) والمتلقي هو ابنه لهذا لا بد من ان يتم بين الاثنين شيء من الفهم والافهام أو الفصح والإرشاد ومن هنا يبرز لنا حكم المتلقي على النص من حيث سلامة اللغة والتركيب والدلالة والوظيفة وسلامة الموقف، في هذا اللقاء.

ويتبين لنا من هذه الخطبة ان الامام علي (ع) يوجه الأوامر لأبنه في قوله تزول الجبال ولا تزل، فنهاه أولاً عن الزوال، وأكد عليه ذلك، وكلامه (عليه السلام) في صورة شرطية متصلة محرّفة، تقديرها لو زالت الجبال - لا تزول - وهي نهي الزوال مطلقاً، لأن النهي عنه على تقديرها، لو زالت الجبال مستلزم لنهيها عنه على تقدير آخر بطريقة الأولى، إذ يقصد فيه المبالغة في النهي. ثم اردف بخمسة أوامر⁵³.

1- إن بعض على ناجذه ذلك لربط الجأش، من الفشل والخوف، وإنه وأنه أنباً للسيوف عن الهام، وهي كناية عن الحمية، فإن من عادة الناس إذا أشد غيظه عضّ على أسنانه⁵⁴.

2- أن يعير الله جمجمته، وهي وتشبيهه لجمجمته بالآلية، التي تستعار للانتفاع بها.

3- ان يلزم قدمه الأرض. ويجعلها كالوتد، لربط الجأش، واستصحاب العزم على القتال.

4- ان يرمي ببصره اقصى القوم. ولذلك ليعلم على ماذا يقدم.

5- أن يغض بصره مدة، وذلك لكونه علامة السكينة، والثبات وعدم الطيش.

إن التزام المتلقي وهو محمد بن الحنفية (عليه السلام) بأوامر الامام (عليه السلام) دليل قبوله واقتناعه، بما قاله الخطيب (عليه السلام)، ودليل الالتزام بالأوامر، هو النص المحقق في معركة الجمل التي حسم الموقف، والنصر لصالح الامام علي (عليه السلام).

ومن كلام له (عليه السلام)، يحث أصحابه على الجهاد: ((وَاللَّهِ مُسْتَأْدِيكُمْ شُكْرَهُ وَ مُوَرِّثُكُمْ أَمْرَهُ وَ مُمְهِلُكُمْ فِي مِضْمَارٍ مَحْدُودٍ مَمْدُودٍ لِيَتَنَازَعُوا سَبَقَهُ فَشَدُّوا عُقْدَ الْمَازِرِ وَ إَطُؤُوا فَضُولَ الْخَوَاصِرِ لَا تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ وَ وَلِيْمَةٌ مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ وَ أَمْحَى الظُّلْمَ لِتَذَاكِيرِ الْهَمَمِ))⁵⁵.

ومن هذا الكلام يتبين لنا مفهوم المقبولية واعتمادها على مدى أهمية النص بالنسبة لمتلقيه. وعلى أهمية النص من الناحية الفكرية والأيدولوجية، التي يستمتع بها مستقبل النص.

فكان (عليه السلام) يحث أصحابه على الجهاد، بما إن الجهاد محبوب عند الله، فإن الله يطلب من عباده، أداء شكره، وهو يورثهم يوم أمر الدين، ومعطيكم المهلة، في مضمار الحياة الدنيا، ليتمكن من السبق⁵⁶.

ثم بدأ الإمام (عليه السلام) يوجه النصائح: فشدوا عقد المآزر.... كناية للعمل الجيد وأكد عليه السلام انه لا تجتمع معالي الأمور، مع طلب اللذات والشهوات، في قوله ((ولا تجتمع عزيمة ولا وليمة))، وما أشد النوم نقضا لعزيمة الانسان⁵⁷. أدى هذا الكلام لاستجابة أصحابه للنداء. فحرق جارية الدار عليهم، فهلك ابن الخضرمي في سبعين رجلاً احدهم عبد الرحمن ابن عثمان القرشي⁵⁸. إن دل هذا على شيء، فهو يدل على خطاب الأمير (عليه السلام).

ومن كلام الامام (عليه السلام) ((لقد كنت امس اميراً، فأصبحت اليوم مأموراً، وكنت أمس ناهياً، فأصبحت اليوم منهياً))⁵⁹.

ومن هذا الكلام يتبين لنا مفهوم المقبولية في معرفة المتلقي بنوع النص، ومعرفة من هو المنتج فالمنتج هنا هو الامام والمتلقي هنا هم القوم فلا بد من أن يتم بين الاثنين توافق من ناحية الفهم والافهام والنصح والإرشاد. فيتضح لنا هنا موقف القوم، وما فيه من تقبل إذ رفضوا امر القتال، وخضعوا للتحكيم.

يتبين من ذلك إن تفاعل القوم مع الخطاب فهو تقبل، وإن كانت الإجابة سلبية بالنسبة للمنتج. يكون القبول حدثاً قائماً بذاته، وهو يتضمن القول في التفاعل المقالي مع كل ما ينطوي عليه ذلك من نتائج، وفي العادة يتم رفض القبول باستعمال إشارة صريحة، نوح انني مشغول الآن.

الخاتمة

عادة في نهاية كل بحث يتوصل الباحث الى نتائج حتى وإن كانت دراسته مبسطة فلا بد من أن تكون قد اكتشفت شيئاً وأهم النتائج التي توصلت إليها في البحث على بساطته الآتي:

- 1- لقد اهتم أصحاب نظرية التلقي بالقارئ بوصفه الطرف الثاني في العملية الإبداعية، وظهرت تبعاً لذلك أنواع عدة للقراء، إذ غدا كل منهم يرسم صورة للقارئ تتماشى وفق ما ذهب إليه من منهج في قراءة النص وسبر غوره، ومن أهم أنواع القراء: القارئ الضمني لدى فولفغانغ ايزر، والقارئ النموذج لدى امبرتو إيكو، والقارئ الأعلى لدى ميشيل ريفيتر، والقارئ المقصود لدى اورين رولف، والقارئ المخير لدى ستانلي فيش، وقد أشار الجاحظ إلى القارئ المقصود الذي تحدث عنه وولف، ووقف ابن قتيبة على القارئ الأعلى الذي تحدث عنه ريفيتر.
- 2- تمثلت مفاهيم المقبولية عند البلاغيين، عبر المشاركة الإبداعية، إذ أدرك البلاغيون القدامى دور المتلقي في العملية الإبداعية، فالمتلقي قسم المبدع في عملية يشارك به مشاركة فعالة تمنحه الحياة والتجديد، وأما أفق التوقع فقد ظهر لدى العرب القدامى عبر ما كانوا يتوقعونه للعشر استناداً إلى ما يتحصل عندهم من المعرفة الأولية لمعنى الآيات، ووقفوا على طبقات المتلقين، فأحكامهم تختلف باختلاف تقاناتهم وعملهم ومخزونهم الخبروي، وحكم الناقد الخبير البصير بجوهر الكلام وموضعه، ومنهم من اهتم بالقارئ الأعلى الذي نجده عند ابن قتيبة، والقارئ المقصود الذي نجده جلياً عند الجاحظ، ومنهم من اهتم بهيئة المتكلم ومكانته لما لها من أثر بالغ الأهمية في استجابة المتلقي وتفاعله مع الكلام. ومثلت المقبولية اللغوية مبحثاً مهماً من مباحث مقبولية النص، إذ يجب أن تتحقق الصحة اللغوية في النص أولاً، والصحة اللغوية تعني أن يحقق النص المقبولية من الناحية الصوتية والصرفية والتركيبية.
- 3- يستنبط حكم المتلقي على النص، من حيث سلامة اللغة والتركيب والدلالة والوظيفة ومراعاة أفق انتظار المتلقي واستجابة لرغباته القرائية والفنية والشعورية... إلخ..
- 4- إن المتلقي هو الذي يعدّ النص مسبوكة محبوباً حتى وإن خلا منهما، فهو يفهمه بمساعدة عوامل أخرى كالسياق وتعبيرات الوجه والإشارات إلخ..
- 5- من عوامل قبول النص أن تميل إليه وإلى مغزاه والفرص منه (ذا نفع مستقبل) فلا بدّ للنص أن يحتوي على إعلامية وتشويق وإثارة ليشدّ المتلقي إليه.
- 6- تعاون المتلقي مع المتكلم شرط التواصل، وبه يعدّ النص مقبولا.
- 7- إن كان القبول متصلاً بالمتلقي، فهو أيضاً يؤثر في المتكلم ولاسيما في المحاورات الشفوية.

الإحالات:

- انظر: النص والخطاب والإجراء، دي بوجراند، ص 104.¹
- انظر: مدخل إلى علم لغة النص، تطبيقات النظرية روبرت دي بوجراند ولفجانج ديسلر، أبو غزالة وحمز، ص 31.²
- النص والخطاب والإجراء لروبرت دي بوجراند، ترجمة د. تمام حسان ص 105.³
- لسان العرب/ ابن منظور، ج 11، ص 54.⁴
- سورة آل عمران، من الآية 37.⁵
- معاني القرآن وأعرابه/ للرجاء إبراهيم بن السري، تح: عبد الجليل شلبي بيروت، عالم الكتب، ط 1، 1988، ج 1، ص 401.⁶

- مبارك مبارك/ معجم المصطلحات اللاتينية، فرنسي، انجليزي، عربي (بيروت، دار الفكر) ط1:1995 ص10.⁷
- معجم المصطلحات المعاصرة (علوش سعيد) (بيروت، دار الكتاب اللبناني ط1، 1985) ص172.⁸
- البيان والتبيين/ الجاحظ/ 13/2.⁹
- العمدة/ ابن رشيق القيرواني: 14-13/2.¹⁰
- ديوان النابغة الذبياني: 38.¹¹
- البيان والتبيين: الجاحظ، ج2، 39.¹²
- سورة آل عمران، 37.¹³
- تهذيب اللغة، مادة (قبل): 136/9.¹⁴
- لسان العرب/ مادة (قبل): 540/11.¹⁵
- التوفيق على مهمات التعاريف: محمد عبد الرؤوف المناولي، تح د. محمد رضوان الداية: 195.¹⁶
- ¹⁷ ينظر: تاريخ النقد الادبي عند العرب: الأستاذ طه احمد إبراهيم، وينظر: تاريخ النقد الادبي عند العرب: د. إحسان عباس: 138.
- ¹⁸ خداس بن بشر، من الخطباء الشعراء، وهو اخطب بني تميم، جعله ابن سلام في الطبقة الثانية من شعراء الإسلام، والبعيث لقب له، لقوله:
- تبعث مني ما تبعث بعدما أمرت قواي وأستمر عزيمي
- أراد انه قال الشعر بعدما اسن وكبر
- ينظر: البيان والتبيين: 204/1 وينظر: الشعر والشعراء ابن قتيبة: 405/1.
- المحكك أي الملمس او المحكم، ينظر: أساس البلاغة: مادة (ح ك ك): 190.^{*}
- البيان والتبيين/ الجاحظ: 204/1.¹⁹
- المصدر نفسه: 250/2.²⁰
- البيان والتبيين: الجاحظ: 6/2.²¹
- البيان والتبيين: 437.²²
- المصدر نفسه: والصفحة نفسها²³
- المصدر نفسه: 431.²⁴
- عيار الشعر: محمد احمد بن طباطبا العلوي،²⁵ 122
- كتاب الصناعتين: لأبي هلال العسكري، 431.²⁶
- ديوان ابي نواس: 203.^{*}
- ينظر: سر الفصاحة: لابن سنان الخفاجي 183.²⁷
- الوقوف على الطلل: محمد عبد المطلب مصطفى (بحث) منشور في فصول (مجلة) المجلد الرابع – العدد الثاني، 1984: 153.²⁸
- الشعر والشعراء: ابن قتيبة 20/1.²⁹
- احمد بن رشيق القيرواني: 1/243.³⁰
- ينظر: الايضاح في علوم البلاغة: القزويني، 13 – 15.³¹
- ينظر، المفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ: ميشال عاصي، 169.³²
- ينظر: البلاغة العربية قراءة أخرى: 56.³³
- كتاب الصناعتين: لابي هلال العسكري 161.³⁴
- يقصد بالكلام هنا: الكلام المنظوم بأجناسه المختلفة الثلاثة/ الرسائل والخطب والشعر، ينظر كتاب الصناعتين: لابي هلال العسكري ص161.
- المصدر نفسه: 161.³⁶

- سر الفصاحة: لابن سنان الخفاجي، 97.³⁷
- دلائل الاعجاز: عبد القاهر الجرجاني، 522.³⁸
- البلاغة العربية قراءة أخرى: 62.³⁹
- البيان والتبيين: الجاحظ: 136/1.⁴⁰
- مفتاح العلوم: السكاكي: 416.⁴¹
- ينظر البيان والتبيين: الجاحظ: 378/1 – 379.⁴²
- ينظر: مدخل الى لم لغة النص: تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند وولفجانج ديرسلر ص 99 – 100.⁴³
- ينظر: كيف تقرأ كتاباً، أدلر، موريتمر، تشارلزفان، ص 30 – 35.⁴⁴
- ⁴⁵ نعمان بوقره ، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب.
- علم اللغة النص، الهام أبو غزالة، علي خليل حمد 33/1.⁴⁶
- ينظر: مدخل الى علم لغة النص دي بوجراند وديرسلر / 178.⁴⁷
- ينظر: النص والخطاب والاجراء / 104.⁴⁸
- أصول المعايير النصية / 62.⁴⁹
- ينظر/ نحو النص بين د. احمد عبد الراضي / 98 - 99.⁵⁰
- نحو النص بين د. احمد عبد الراضي / 98 – 99.⁵¹
- نهج البلاغة 43/1.⁵²
- شرح نهج البلاغة – كمال الدين البحراني – 196/1.⁵³
- نهج البلاغة 43/1.⁵⁴
- نهج البلاغة 233/2.⁵⁵
- ينظر: توضيح نهج البلاغة 3 / 445.⁵⁶
- ينظر: توضيح نهج البلاغة 3 / 446.⁵⁷
- ينظر: شرح نهج البلاغة – كمال الدين البحراني / 4 / 198.⁵⁸
- نهج البلاغة 187/2.⁵⁹